غرائب العادات

اديان الملانازيين وشعائرهم

ذكرنا في بعض الاجزاء الماضية طرفاً صالحاً من عادات هؤلاء الاقوام وقد بقي ان نتذكر شيئاً عن اديانهم فنقول

ثبت للذين اقاموا بينهم زماناً طويلاً وبحثوا في عاداتهم وشعائرهم انهم لا يعتقدون بوجود إله فرد صمد بل يعتقدون بوجود ارواح او قوى غير منظورة تتصل بالموجودات المنظورة خيراً كان او شراً . ويعتقدون ايضاً ان للناس نفوساً تخرج منهم في نومهم وتعود اليهم في يقظتهم ثم تخرج منهم بتاتاً متى ماتوا وتبقى في الارض تؤثر في الاحياء

ويعتقدون ايضاً بوجود قوة فوق الطبيعة تظهر بالقوى الطبيعية او بما يفوق بهِ بعض الناس غيرهم يسمونها مانا وبها يحدث كل ما يفوق طاقة الانسان العادية . وهذه القوة او المانا موجودة في الهواء وتتصل بالناس ولا ترى الاَّ بافعالها . وما من روح الاَّ وفيها شيء منها وقد توجد ايضاً في بعض النفوس

وعندهم انهُ اذا فاز انسان في الحرب ففوزهُ ليس ناتجاً من قوتهِ الطبيعية بل من ان مانا روح من الارواح او مانا احد الابطال الاموات ايَّدتهُ حتى فاز على خصومهِ وقد نال تأييدها بعودة كانت حول عنقهِ او ضمة أوراق كانت في منطقتهِ او سن كانت معقة في سية قوسهِ او بعبارة نطق بها . واذا مات رجل فيهِ هذه المانا بقيت في نفسهِ وزادت قوتها وسهلت عليها الحركة والانتقال من مكان الى آخر

الاَّ ان المانا لا تنحصر في الارواح والنفوس والاشخاص بل قد تكون في الحيوانات والنباتات والجمادات ايضاً فاذا رأى انسان حجراً غريب الشكل يخالف الحجارة التي رآها قبلاً قال ان فيهِ مانا ليدفنهُ في الارض التي يزرعها او يضعهُ عند جذور شجرة من الاشجار التي يرى مشابهة بين شكلهِ وشكل ثمرها فاذا اخصب زرعهُ او كثر جنى شجرتهِ ثبت لهُ انهُ كان مصيباً في ظنهِ اي ان ذلك الحجر فيهِ مانا . بل ان المانا توجد في بعض الكلمات ولذلك يكون لها قوة سحرية فعَّالة

ومصدر المانا الاصلي الارواح ولكن الارواح تتخلى عنها فتنتقل الى النفوس والاشخاص والحيوانات والنباتات والجمادات تنتقل من الواحد منها الى غيرهِ . ومانا الانسان تنتقل اليهِ

من الروح او من نفس احد الابطال الذين ماتوا وماذا الحجر تنتقل منهُ الى حجر آخر

وليس للمانا خاصة ذاتية بها ولكنها تفعل بواسطة ذاتية غيرها فمانا الحجر متصلة بالروح التي في الحجر ومانا عظم الانسان متصلة بنفسهِ المتصلة بالعظم ومانا الكلمة الملفوظة متصلة بالروح او النفس التي تستخدمها تلك الكلمة . وفلاح الانسان في اعمالهِ انما يكون بواسطة المانا التي فيهِ وسلطتهُ على قومهِ تقوم بتأثير مانائهُ فيهم فهي التي تسوّدهُ عليهم ولذلك تراهم يبذلون جهدهم للحصول على المانا . وكل ما يمارسونهُ من الشعائر الدينية بل كل اعمالهم الدينية انما الغرض منها الحصول على المانا او على ارشادها

وينقسم هؤلاء الاقوام من حيث اديانهم الى قسمين كبيرين الواحد تتجه عبادتهُ الى نفوس الاموات مع اعتقادهم بالارواح . والثاني تتجه عبادتهُ الى الارواح مع اعتقادهم بوجود النفوس . اي ان الاول يهتم بالنفوس اكثر من الارواح والثاني بالارواح اكثر من النفوس . ويظهر الفرق بين الفريقين جليًّا في ان الفريق الذي يقدم تقدماتهِ للنفوس يحرق بعضها ويأكل البعض الآخر واما الذي يقدم تقدماتهِ للارواح فلا يحرقها قبلما يأكلها

وكل هؤلاء الاقوام يطلبون من النفوس والارواح بعبارات يكررونها ولا يعرفها الاَّ كهنتهم او المتازون منهم وعندهم ايضاً طلبات عامة يطلبونها وقت الاستغاثة . والضحايا التي يضحونها بعضها للافتداء كأن يضحوا حيواناً فدية عن صاحبهِ وبعضها للتوسُّل كأن يتوسلوا الى الروح او النفس لكي تصرف عنهم مكروهاً وبعضها للاستعانة كأن يستعينوا بها لنيل امر مرغوب فيهِ وبعضها لمجرد الاحترام

وليس عندهم كهنة مختصون باقامة شعائر الدين بل كل انسان يستطيع ان يعبد ما يراهُ اهلاً للعبادة وكل احد يعبد معبوداً ما هو كاهن لذلك المعبود يقدم لهُ الحرقات والقرابين . فرئيس القبيلة الذي يقوم بالفرائض الدينية لا يقوم بها لانهُ رئيس القبيلة بل لان قيامهُ بها جعلهُ رئيساً للقبيلة . والنساء والاولاد محرومون من القيام بالفرائض الدينية

وابسط ما تقوم بهِ عبادة النفوس ان يطرح لليت قليل من الطعام (وهو جذر نبات يؤكل كالبطاطا الحلوة) او غيره من الطعام او يصبّ لهُ قليلٌ من شراب الكاڤا اذا كان الناس يشربونهُ حاسبين ان ما يطرحونهُ لهُ هو نصيبهُ من طعامهم فيترضونهُ بهِ . وقد تفرّع من ذلك وضع الطعام في المقابر او امام تمثال الميت وهذا الطعام لا يحرق بل يترك مدة وجيزة ثم يؤكل ولكن اهالي جزائر سليمان يحرقونهُ قليلاً ثم يأكلونهُ

واذا اريد ان تعمل القبيلة عملاً كبيراً كأن تشن الغارة على قبيلة اخرى او تشتبك

في حرب مع غيرها فالشعائر التي تقوم بها ليست على ما تقدم من البساطة مثالهُ ان اهالي جزيرة سان كرستوفال من جزائر سليمان اقدموا على امر مثل هذا لتقريبوا ذبائحهم الى نفس رجل اسمهُ هروميٰ توفي منذ عهد قديم ولا يتذكرهُ الاَّ بعض شيوخهم وهم يعتقدون ان نفسهُ جبَّارة في الحرب مع ان الذي يروونهُ عنهُ يدلُّ على انهُ كان كريماً وفيهِ ماناً ولكنهُ لم يكن من رجال الحرب

ومعبد هروميٰ بيت صغير في القرية فيهِ آثارهُ فيجتمع فيهِ كل رجال القرية ويختقون خنزيراً ويضعونهُ في قصعة لكي لا ينصبَّ شيءٌ من دمهِ على الارض ثم يقطعونهُ ويأتي المضحي الاكبر ويتناول قطعة من لحمهِ ويغرف بعض الدم بقشرة من جوز النارجيل ويدخل المعبد ويغسل يديهِ اولاً وينادي يا هروميٰ رب القتال نضحي لك هذا الخنزير لكي تساعدنا على الايقاع باعدائنا . وكل ما نضحهُ فهو لك ونحن نكون لك ايضاً . ثم يضع قطعة اللحم على حجر ويحرقها ويصب عليها الدم فتزيد النار احتداماً ويتلوَّى المعبد من رائحة المحرقة دلالة على ان نفس هروميٰ سمعت الدعاء واستجابت ثم تؤكل بقية اللحم

هذا من حيث العبادة العمومية اما العبادة الخصوصية فيلجأ اليها كل من يريد ان يقتل خصماً او يذهب الى الحرب فيستعين بنفس حجر او شجرة او نجم ويقدم لها شيئاً من الطعام الذي تحبهُ ويطلب عونها قبلما يُقدم على شيء

والتوسل الى النفوس لا يكون دائماً بالضحايا والتقادم بل قد يكون بمجرد الدعاء كما اذا اراد احدهم ان يسرع بهِ فاربهُ او ان ينجو من الغرق او ان يشفى من مرض او ان يوفق في الصيد او ان يجود زرعهُ . واذا لبَّت النفس طلبهُ حمدها على ذلك بكل جوارحهِ

الاَّ ان النفوس التي تستدعى ويلتجأ اليها انما هي نفوس الناس الذين كان فيهم مانا اما الذين لم يكن فيهم مانا فهم لا شيء ويتلاشون حالما يموتون . والرجل صاحب المانا تصير نفسهُ بعد موتهِ اقوى مما كانت في حياتهِ

اما الارواح فلم تكن بشراً كالنفوس وليس لها معابد مبنية تعبد فيها ولا صور تمثَّل بها ولكن معابدها طبيعية ويستدلُّ عليها بالحجارة ذات الاشكال النادرة . وبعض هذه الحجارة كُرَس لارواح مخصوصة منذ ازمان طويلة . والغالب ان طريقة التقرُّب من حجر من هذه الحجارة لا يعرفها الاَّ رجل واحد وهي موروثة من الاب الى ولدهِ وكل من يريد ان يستعين بتلك الروح او يسترضيها او يتقرَّب منها ويجب عليهِ ان يفعل ذلك بواسطة الرجل المختص بالتقرب منها فيهدي اليهِ هدية من الخنازير او الحصر او النقود الوطنية او

نحو ذلك فيأخذها ويقدمها للروح اي يضعها على الحجر المقدس ويتوصل الى الروح ولكنهُ لا يعطي الروح كل ما اخذهُ بل يبقي النصيب الاكبر لنفسهِ

ولا صحة لما قيل من ان هؤلاء الاقوام يعبدون الاصنام فان الذين رأوهم اولاً من المبشرين والتجارة رأوا عندهم تماثيل ومنقوشات ورأوهم يقربون القرابين لها فحسبوا انها اصنام وانهم يعبدونها مع انهم يقربون قرابينهم ويضحون ضحاياتهم للنفوس والارواح لا غير واما التماثيل والمنقوشات التي عندهم فلا شأن لها الاَّ من حيث انها تذكرهم بالنفس او الروح الحالَّة فيها او المتصلة بها

وسكان غينيا الجديدة يمتازون عن الاقوام المتقدم ذكرهم بان النفوس والارواح التي يعبدونها او يتقربونها للدفع اذاها شريرة كلها او اكثرها ولكنهم لا يميزون نفوس الرجال العظام عن غيرها

ويعتقد الكويتا بوجود ارواح شريرة في اماكن مخصوصة فعلها خاص بالاماكن التي هي فيها فاذا اصيب فريق منهم بالمرض او الموتان وهم نازلون في بقعة من الارض او اذا اصابتهم فيها الحشرات فاذتهم قالوا ان ما اصابهم انما اصابهم من روح شريرة في تلك البقعة وعدلوا عن النزول فيها في المستقبل . وكثيراً ما يعلقون الارواح بينابيع المياه فيقولون انها تسكن السراطين التي يجدونها فيها او بالادغال ويقولون انها تسكن الافاعي التي فيها واذا رأوا حية في بئر قالوا انها هي الروح التي تجعل الماء يخرج منها واذا فتلت نضب ماء البئر . وعلى مقربة من بورت مورسبي شكلها غريب فيقولون ان الارواح تسكنها ولا يدنون منها ويحذارون نبابيتهم ورماحهم مما ينبت قريباً منها معتقدين انها تكون اقوى من غيرها على ايذاء الاعداء . واذا اصطاد احدهم حيواناً قرب هذه التلة حذر ثلاثاً ينضح شيئاً من دمهِ على ترابها واذا انضح خف التراب الملوث بالدم ورماهُ في النهر والاَّ فكل من يأكل من ذلك الحيوان يصاب باذى . ويلفون ورقة شجر كبيرة في شكل قمع مخروطي يستقون بها ليشربوا فاذا كان في البئر روح خرقوا هذا القمع حتى ينضب منهُ جانب من الماء قبلما يشربونهُ فتذهب الروح مع الماء المنضوب والاَّ دخلت جوفهم ونفختهم واماتتهم

ويعتقدون ان الروح تختطف نفس الانسان احياناً فاذا أُصيب احدهم بحمَّى وبرداء او اذا اغمي عليه قالوا ان الروح اختطفت نفسهُ وحاولوا استرجاعها وذلك بان يربطوا الى طرف قناة طويلة بعض الحلى المثبتة ويذهبوا بها الى المكان الذي أُغمي فيهِ على ذلك الرجل او أُصيب فيهِ بالحمى وقد شعورهُ ومعهم القنا وافاة فيهِ عيدان مشتعلة فيضعون الاناء على

الارض ويقفون حولهُ ومع كل واحد منهم حجر حتى اذا سمعوا صوت العيدان وهي تخترق رشقوها بالحجارة ثم يعودون بالقتا الى القرية والحلي معلقة فيهِ ويطلقونها فوق المريض وهم يعتقدون ان الروح التي اختطفت نفس الرجل تختار نفس الحلي بدلاً منها وترد نفس الرجل فتدخل الحلي حتى اذا علقت فوقهُ عادت اليهِ فيشفى واذا لم يشفَ استدلوا على ان نفسهُ لم تُرَدّ. واذا نام احدهم فارقتهُ نفسهُ واذا استيقظ عادت اليهِ واذا عطس انسان قالوا ان نفسهُ كانت قد فارقتهُ فعادت اليهِ واذا مرّت عليهِ ايام لم يعطس قالوا ان ذلك علامة رديئة. واذا مات انسان ذهبت نفسهُ الى جبل سكنت فيهِ كما كان الانسان ساكناً في قريتهِ. وللنفوس هناك بيوت وبساتين ونساء. واذا لم تخترق وترة انف رجل في حياتهِ وجب ان تخترق حالما يموت والاَّ اضطرت نفسهُ ان تضع في انفها خيوطاً كالافعى. وحالما تصل النفس الى وطنها الجبلي تعود ومعها نفوس اخرى لتنقل نفوس امتعتهِ التي يود ان تكون معهُ. ولا تؤذي نفسهُ نفس احد من اقاربهِ ما لم يكن ذلك القريب قد اذاهُ في حياتهِ او خالف عادةً من عادات القبيلة. وتتردد النفوس على بيوت اصحابها بعد موتهم ولهذا يهجر بيت الميت. والاولاد الذين يلعبون قرب بيت مهجور يمرضون والطعام الموضوع في بيت مات فيهِ احد يمرض من يأكلهُ من غير اعضاء عائلة الميت

اما شعب الرورو والميكو فيعتقدون الظن بنفوس الموتى ويودون رجوعها الى قراهم ويقولون انها اذا هجرت القرى تولاها النحس فيتوسلون اليها لترجع ولكن هذه النفوس تطالب من يغيظها

وسكان جبال المغولو يثيليا الجديدة يعتقدون ان نفوس الشيطان والكهول تبقى على الارض وهي الانوار التي ترى احياناً على الارض وفي الادغال الكثيفة التي تخترقها اشعة الشمس ولا يأكلون الفطر على الاطلاق. وقد تعود هذه النفوس الى القرى ليلاً طلباً للطعام فيسد السكان كل خرق في بيوتهم خوفاً من دخول النفوس منها ولما رأوا المرسلين ينامون قافلين كوى بيوتهم عجبوا من جرأتهم على ذلك. وعندهم ان كل مكان غير مألوف هو مسكن للنفوس وكذلك بعض الاشجار والاحجار والمتعرشات. واذا وصلوا الى مكان مسكون بالنفوس وكانوا يشكون صعوبة الى ان يجتازوهُ ويستعد كل منهم لذلك بشيء من الشب يقطعهُ قبل ذلك ويربطهُ ويرميهِ هناك لكي تلتهي النفوس بهِ

وهذه العقائد كانت متمكنة من السكان قبلما تنصروا او قبلما دخل المرسلون بلادهم واختلطوا بالاوربيين. اما الآن فقلَّت كثيراً وكادت تزول من بعض الاماكن